المكان وعلاقته بضمائر السرد

اعداد

شهيرة جمال فتحى

باحث ماجستير بقسم اللغة العربية

كلية الاداب جامعة بني سويف

مستخلص:

يتناول هذا البحث مفهوم السرد لغةً واصطلاحاً. ثم تناول أنماط الخطاب السردي من حيث الموضوعية والذاتية. ثم ذكر علاقة المكان بضمائر السرد (ضمير ال"أنا"، ضمير الغائب) عند سليمان فياض.

الكلمات الدالة: ***المكان - ضمائر السرد ـ الرواية. ـ الضمائر الذاتية -الذات مشاعرها- التقنيات الحديثة -الخيال الذهني –سليمان فياض***

Abstract:

This search talks about the concept of narration in language and convention. He then dealt with narrative discourse in terms of objectivity and subjectivity. Then he mentioned the relationship of the place to the pronouns of the narrative (the conscience of "I", the conscience of the absent).

- Descriptors: *The place- the pronouns -the narrative- novel- Self pronouns-Self and feelings -Modern technologies –location- Mental imagination -Memory -collapse of ideas*

الاستشهاد المرجعي:

شهيرة جمال فتحى (٢٠١٨). المكان وعلاقته بضمائر السرد. = حولية كلية الآداب. جامعة بني سويف. ـ مج ٧، ج٢ .- ص ص ٣٨٩- ٤١٤

تمهيد:

نتحدث في هذا البحث عن مفهوم السرد لغةً واصطلاحاً. ثم نتناول أنماط الخطاب السردي من حيث الموضوعية والذاتية. ثم نذكر علاقة المكان بضمائر السرد(ضمير ال"أنا"، ضمير الغائب).

أولاً/ السرد:

يعرف السرد معجمياً بأنه التتابع، حيث يقال:"السرد في اللغة: تقدمة شيء إلي شيء تأتي به متسقاً بعضه في أثر بعض متتابعاً.

سرد الحديث ونحوه يسرده سرداً إذا تابعه. وفلان يسرد الحديث سرداً إذا كان جيد السياق له. وفي صفة كلامه، صلى الله عليه وسلم: لم يكن يسرد الحديث سرداً أي يتابعه ويستعجل فيه. وسرد القرآن: تابع قراءته في حد زمنه. والسرد: المتتابع"[1].

أما السرد كمصطلح نقدي"هو الكيفية التي تروى بها القصة، وما تخضع له من مؤثرات، بعضها متعلق بالراوي والمروي له والبعض الآخر متعلق بالقصة ذاتها"[2]."ومن ثم يمثل السرد الجانب الشكلي/ الشعري للمضمون أو القصة، والذي ينبغي أن تركز عليه الدراسة البنائية للنص؛ لأنه هو الذي يمنح النص الروائي سمات أسلوبية وبنائية تميزه عن غيره

---

[1] ابن منظور (١٨٨٢م). لسان العرب.- بيروت: دار صادر.- مجلد٣.- ص٢١١.

[2] حميد لحمداني (١٩٩١م). بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي.- بيروت: المركز الثقافي العربي.- ط١.- ص٤٥.

من النصوص الروائية"[١].

والسرد في الفن: عبارة عن مجموعة من الأحداث الحقيقية أو المتخيلة يسردها الراوي ويسوقها في إطار فني لخدمة تجربته الفنية.

ثانيًا/ أنماط الخطاب السردي:

للخطاب السردي نمطان ـ "يميز الشكلاني الروسي توماشيفشكي بين نمطين من السرد: "سرد موضوعي وسرد ذاتي، ففي نظام السرد الموضوعي يكون الكاتب مطلعاً على كل شيء، حتى الأفكار السرية للأبطال، ويكون مقابلاً للراوي المحايد الذي لا يتدخل ليفسر الأحداث، وإنما ليصفها وصفاً محايداً كما يراها، أو كما يستنبطها في أذهان الأبطال لذلك يسمى هذا السرد موضوعياً لأنه يترك الحرية للقارئ ليفسر ما يحكى له ويؤوله، ونموذج هذا الأسلوب هو الرواية الواقعية.

أما في نظام السرد الذاتي، فإننا نتبع الحكي من خلال عيني الراوي(او طرف مستمع) متوفرين على تفسير لكل خبر: متى وكيف عرفه السارد أو المستمع نفسه ونموذج هذا الأسلوب هو الروايات الرومانسية أو الروايات ذات البطل الإشكالي"[٢].

نستنتج من خلال ما سبق أن الراوي"إما أن يكون مجرد شاهد

---

[١] شريف الجيار(٢٠٠٣م).روايات"إحسان عبد القدوس" ذات الاتجاه النفسي ومصادرها الأجنبية" دراسة مقارنة في"التقنيات الفنية والتداخل الحضاري.-القاهرة: كلية الآداب.- ص١٠١، ١٠٢.

[٢]حميد لحمداني (١٩٩١م). بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي.- بيروت: المركز الثقافي العربي.ـ- ط١.- ص٤٦، ٤٧.

متتبع لمسار الحكي، ينتقل عبر الأمكنة، ولكنه لا يشارك مع ذلك في الأحداث، وإما أن يكون شخصية رئيسة في القصة"[1].

ومن"خلال هذين النمطين السرديين (الذاتي والموضوعي)، تنشأ منظومة من التقنيات السردية"[2]؛ كتقنية السارد بضمير ال"أنا" كما في روايتي(أيام مجاور)، (القرين ولا أحد)،وتقنية السارد بضمير الغائب كما في روايتي(الصورة والظل' والفلاح الفصيح)، وقد ارتضى البحث هذه المفاهيم ليطبقها داخله من خلال دراسة أعمال سليمان فياض الروائية.

ثالثًا/ المكان وعلاقته بضمائر السرد:

يعتبر المكان نقطة الإنطلاق الأولى بالنسبة للسارد الروائي. فمن خلاله يستمد مادته الروائية أو موضوعه الفني الذي يحرك خياله الفني، كما يحدد طبيعة استخدامه للضمير الملائم لذلك المكان سواء أكان الضمير ذاتيا أم موضوعيا. من أجل خدمة سرده الفني. فالمكان هو الذي يقوم عليه"الحركة الروائية المتمثلة في سيرورة الحكي سواء تلك التي تم تصويرها بشكل مباشر، أم تلك التي تدرك بالضرورة، وبطريقة

[1] حميد لحمداني (١٩٩١م). بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي.- بيروت: المركز الثقافي العربي.ـ- ط١.- ص٤٩.

[2] شريف الجيار(٢٠٠٣م).روايات"إحسان عبد القدوس" ذات الاتجاه النفسي ومصادرها الأجنبية" دراسة مقارنة في"التقنيات الفنية والتداخل الحضاري.-القاهرة: كلية الآداب.-ص١٠٤.

ضمنية مع كل حركة حكائية"[١]. لذلك"فالروائي دائم الحركة إلى التأطير المكاني لأنه يسهم في خلق المعنى داخل الرواية"[٢].

وبإسقاط "الحالة الفكرية أو النفسية للأبطال على المحيط الذي يوجدون فيه يجعل للمكان دلالة تفوق دور المألوف ويتحول في هذه الحالة إلى محاور حقيقي ويقتحم عالم السرد محرراً نفسه من أغلال الوصف"[٣].

تتضح علاقة المكان بالسرد من خلال هذه الضمائر:

١ـ السارد بضمير ال"أنا"، والتعبير عن أفكار الذات ومشاعرها.

أـ (الذاكرة)

ب ـ (الخيال الذهني التصويري، ومناجاة النفس)

جـ ـ (الحواس)

٢ـ السارد بضمير الغائب.

أـ (تقنية الخيال التصويري) ب ـ (تقنية مناجاة النفس)

[١]حميد لحمداني (١٩٩١م). بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي.- بيروت: المركز الثقافي العربي.ـ- ط١.- ص٦٤.

[٢]حميد لحمداني (١٩٩١م). بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي.- بيروت: المركز الثقافي العربي.ـ- ط١.- ص٦٥، ٧٠.

[٣]حميد لحمداني (١٩٩١م). بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي.- بيروت: المركز الثقافي العربي.ـ- ط١.- ص١٧.

١ـ (أولًا) السارد بضمير ال"أنا"، والتعبير عن أفكار الذات ومشاعرها.

يتخذ السارد بضميرال"أنا" ـ في روايتي سليمان فياض (أيام مجاور، القرين ولا أحد) ـ وسائل ثلاث للتعبير عن ذات الشخصية المحورية، هي: الذاكرة، والخيال الذهني التصويري ومناجاة النفس، والحواس وهي"العوامل الثلاثة التي تنظم التداعي في روايات تيار الوعي، وهي، أولًا، الذاكرة التي هي أساسه، وثانيًا الحواس التي تقوده، وثالثًا الخيال[١].

أـ (الذاكرة):

يعتمد السارد المشخص على المكان والمقصود به (الذاكرة) التي تمكنه من تذكر المواقف والأحداث التي مرت به في الزمن الماضي، كما في روايتي(أيام مجاور، والقرين ولا أحد) لأنها تمنحه"قدرة على تداعي الأفكار، واسترجاع ما مر به من أحداث وشخصيات، بطريقة انسيابية وشكل منظم، مما يجعل القارئ يتابع سير تجربة الشخصية الروائية الساردة من خلال هذه الذاكرة الهادئة المثالية[٢].

وقد وردت هذه الصيغة على لسان الراوي"سليمان فياض" ـ على سبيل المثال في رواية (أيام مجاور):

---

[١] روبرت همفري(٢٠١٥م). تيار الوعي في الرواية الحديثة ترجمة وتقديم: محمود الربيعي.- القاهرة.- ص٧٤.

[٢]شريف الجيار(٢٠٠٣م).روايات"إحسان عبد القدوس" ذات الاتجاه النفسي ومصادرها الأجنبية" دراسة مقارنة في"التقنيات الفنية والتداخل الحضاري.-القاهرة: كلية الآداب.- ص١٢٢.

"أنا شاطر في النقر جربني. كنت أساعد نجاراً بعزبة حبيب من باب قضاء الوقت، وتعلمت النقر بالإزميل في كافة أوضاع النقر. ورحت أعمل بمهارة والرجل يراقبني، وهو يمسح بالفارة قطع خشب أخرى، ويضعها أمامي، وعليها علامات النقر بانتظام بالقلم الرصاص. وعندما انتهيت كان الظهر قد ولى، والعصر قد ولى، وحان وقت الغروب، فناولني عشرة قروش"[1].

الشخصية المحورية الساردة (سليمان فياض) يسرد لنا تجربته الفنية من خلال صيغة السرد التذكري، التي مكنته من تذكر المكان القديم المتمثل في (عزبة حبيب) باستخدام ضمير المتكلم الحاضر(أنا)، الذي منحه قدرة على التذكر واسترجاع ما مر من أحداث وشخصيات في زمن حاضر هو زمن السرد، لكي يضفي نوعاً من التواصل بين تجربة السارد الفنية والقارئ، الذي يحاول في كل لحظة أن يوهمنا بواقعية ما مر به من أحداث وشخصيات، ويجعل القارئ يشاركه مشاعره في تلك اللحظة ويتعاطف مع تجربته الفنية.

ومن ذلك ـ أيضاً ـ ما ورد على لسان الراوي (سليمان فياض) في رواية (القرين)"وعيت اللحظة أنني نسيت ذلك تماماً. وبدا لي هذا الاكتشاف البعيد للقرين، أسطورياً، ومجنوذاً، ومخيفاً، وحاولت أن أجد علاقة تربط بين ذلك الآخر. والقرين. بل بينهما وبين ما عرفت في الماضي من أن لكل إنسان شيطانه الذي يوسوس له بالشر وملاكه الذي يدعوه إلى الخير، وربما يحمله رسالة سماوية إلى الناس. وملكين رقيبين عليه، يكتبان كل ما يقوله أو يفعله. أحدهما يكتب الخير، والآخر يكتب

[1]"سليمان فياض(٢٠٠٩).رواية أيام مجاور.- القاهرة: دار الهلال.-ط١.-ص٢٢.

الشر، اسمهما رقيب، وعتيد، وملكين آخرين يحفظانه، اسمهما رقيب، وعتيد، وملكين آخرين يحفظانه، اسمهما: حافظ، وحفيظ. تذكرت ما قرأته من أن الملكين الرقيبين يقيمان بين أسنان الإنسان، فضحكت، وازداد ضحكي في سريرتي، حين فكرت أنني محاط حقاً بكل هذا الحرس، حتى عندما أكون وحيداً"[1].

يسرد الراوي تجربته الفنية، وهو في الزمن الحاضر المتمثل في الفعل(وعيت اللحظة) من خلال (المكان) الذاكرة التي ساعدته على استدعاء الزمن الماضي المتمثل في الفعل(تذكرت) كما ساعدته على الانتقال من تلك اللحظة الحاضرة إلى لحظة أخرى دون عوائق تحول دون تجربته الفنية.

ليستعيد توافقه مع نفسه، فيجسد ذلك التوتر القائم بين الذات ونفسها من خلال تلك الذكريات المتمثلة في القراءة، ومن خلال المعارف المقتبسة من الزمن الماضي، لكي يوجد سلاح يواجه به قرينه.

والصنيع نفسه نجده في رواية"لا أحد" حيث يقول الراوي"تاقت نفسي إلى شرب الشاي. شعرت بفرح حين تذكرت أن رمضان قد انتهى بصيامه أمس. مع آخر غروب. لكنني في هذا البيت لم أعرف الصوم. صائماً كنت فقط، في الشارع، والمدرسة، وبين الناس. والفضل كان للصابون الذي يمحو رائحة الطعام، وللكولينوس الذي يزيل، برائحة النعناع في الفم، رائحة الدخان.

[1] سليمان فياض(١٩٨٢).رواية القرين.-القاهرة: مختارات فصول الهيئة العامة للكتاب.-ص٢٤، ٢٥

لذلك كنت أعود إلى البيت مسرعاً ولا أغادره، إلا مع صباح اليوم التالي، في آخر دقيقة، حين يدق جرس مدرساتي القريب"[١].

الراوي ـ هنا ـ يتداعى ما مر به من أحداث في زمن حاضر هو زمن السرد المتجسد في صيغة الحاضر(لكنني في هذا البيت) مستعيناً بحركة (المكان) الذاكرة التي منحته قدرة على مزج فعل السرد بفعل التذكر المتمثل في(تذكرت أن رمضان قد انتهى) ليوضح من خلال هذا التذكر المفارقة الكبرى بين الداخل الخفي الذي يعيش فيه الإنسان، والخارج الظاهر الخادع الذي لا أساس له على وجه اليقين فهو مجرد لافتة خادعة.

(ب) الخيال الذهني التصويري، ومناجاة النفس:

يقصد به قدرة الراوي على مزج الواقع بالخيال أو الوعي باللاوعي من خلال استخدامه للخيال التصويري داخل بنية السرد"وهي وسيلة تساعد الشخصية المحورية الساردة على استبطان ذاتها مباشرة، وتقديم أبعادها النفسية أمام المسرود له والقارئ"[٢].

فالراوي الداخلي"يغوص في أعماق الأفعال لدى فاعليها، أو في تأثيراتها الباطنية لدى المتلقين لها، فتنقلب الحركة إلى شعور، والفعل إلى عاطفة، والضحك إلى حزن، والسخرية إلى تعاطف وألم"[٣].

---

[١] سليمان فياض(١٩٨٢).روايةلا أحد.-القاهرة: مختارات فصول الهيئة العامة للكتاب.-ص٩٤.

[٢] شريف الجيار(٢٠٠٣م).روايات"إحسان عبد القدوس" ذات الاتجاه النفسي ومصادرها الأجنبية" دراسة مقارنة في"التقنيات الفنية والتداخل الحضاري.- القاهرة: كلية الآداب.- ص١٢٦.

[٣] عبد الرحيم الكردي(١٩٩٦م).- الراوي والنص القصصي.- القاهرة: دار النشر للجامعات.- ط٢.- ص١٦٦.

وتتجسد حركة الخيال التصويري داخل بنية السرد لسليمان فياض في رواية" أيام مجاور" من خلال تلك الصيغ (خيل إلي، أحسست، تذكرت، يخيل لي).

وقد ارتبطت حركة الخيال بعدة وظائف داخل البنية السردية، نذكر منها على سبيل المثال، ارتباطها بالأفكار الخيالية المستقرة في لا وعي الشخصية المحورية الساردة، مما يجعل هذا التخيل يظهر على هيئة حلم يقظة عاكساً لطبيعة أحاسيس الشخصية ومشاعرها.

ونستدل على ذلك من خلال قول الراوي في رواية (أيام مجاور)" ولا أعرف لم تذكرت في تلك اللحظة، درس الغسل الذي استمعت إليه صباح يوم مضى، في فصلي بالمعهد الديني. أحسست بجسد المرأة فجأة، وهي ماثلة أمامي. لحم على عظم، داخل جلباب. نهدان ممصوصان، وعينان واسعتان ربما من الجوع. وشعر مرسل على كتفيها لم يفلح مشط الفلاية العظم في تسريحه، بعد غسله بالجاز. ومعها رائحة أنثى يشي بها عرق تجمد وسد المسام.....يخيل لي الآن أنها أحست بي عبر الفراغ بيننا.....

تلك الليلة. استسلمت للنوم وهي ماثلة أمامي، وقد انكمش بعضي في بعض في رجفة، أتضاغط في نفسي على نفسي، كأنني على وشك حمى، ودخلت في غيبوبة نوم وسنان ناعم، موجع وقاس، ذكرني بأدوار الملاريا التي كانت تعاودني بكوابيسها في القرية، كل صيف.....

في الصباح صحوت. تذكرت ما حدث. بدا لي ما كان حلمًا لا حقيقة له"[1].

استطاع الراوي "سليمان فياض" من خلال المكان عبرخياله الذهني التصويري مستعيناً بالرؤية البصرية أن يرى عيني الفتاه تسيران نحوه في ظلام الليل، ويرى الغرفة بلا جدران ولا أرض، ولا سقف، ويراها وهي تنزع جلبابها، فقفزت له كعروس البحر في ظلام الليل، وهذه الرؤية للشخصية الساردة تمنحه القدرة على تحقيق ما يصعب تحقيقه في المكان الواقعي فيحققه عبر الخيال، ويعتبر هذا الخيال أساس البوح والكشف عن الافكار المستقرة في لا وعي الشخصية المحورية الساردة، وعاكسة لمشاعره وأحاسيسه الذاتية الخفية.

وأحياناً تأتي حركة الخيال الذهني التصويري كوسيلة للتذكر عبر المكان(الذاكرة) واسترجاع مامر بالشخصية المحورية الساردة من أحداث وشخصيات كما ورد في رواية"أيام مجاور" على لسان الراوي(سليمان فياض)"خيل إلي في تلك الليلة، ليلة السينما، أنني قد انتقلت من عصر إلى عصر. تذكرت يوماً سمعت فيه صوت الراديو، ورأيت الراديو لأول مرة. كان أبي قد انتقل بنا من قريتنا إلى السنبلاويين، واستقر بنا في عزبة حبيب، وبدأ يمارس عمله هو الأزهري، حامل شهادة الثانوية الأزهرية، سكرتيراً لمدرسة المدينة الأولية"[2].

يشير الراوي من خلال تذكره لسماع صوت الراديو إلى مدى التقدم والرقي المتمثل في الآلة التكنولوجية (الراديو) الذي لحق به

[1] سليمان فياض(٢٠٠٩).رواية أيام مجاور.- القاهرة: دار الهلال.-ط١.- ص٣٠، ٣١، ٣٢.
[2] سليمان فياض(٢٠٠٩).رواية أيام مجاور.- القاهرة: دار الهلال.-ط١.- ص٣٥.

عندما انتقل من قريته إلى السنبلاويين، وهذا التقدم والتغير في الآلة استمر معه عندما انتقل إلى مدينة الزقازيق، والدليل على ذلك مشهد (ليلة السينما).

وقد اتخذ الراوي تقنية مناجاة النفس ليكشف من خلالها ما يدور داخل الذات البشرية من حديث ذاتي أمام القارئ. وتأتي هذه التقنية في شكل هذه الصيغ"حدثتني نفسي، وفي خاطري تذكرت، حدثت نفسي، أسأل نفسي، دار بخاطري..."

ونوضح ذلك من خلال قول المأمور"دار بخاطري أن أقبض على العمدة، ومشايخ الدراويش، والخفر، وأحمد، وأظل أجلدهم جميعًا حتى الموت، بدون رحمة. لكنني، إذا فعلت ذلك، قلت لنفسي، فأنا أكرر نفس ما فعلته نساء الدراويش المتشحات بالسواد"[1].

يتضح المكان ويقصد به ذات الإنسان من خلال محادثة أو مناجاة الراوي لنفسه، ويتضح ذلك من خلال"قلت لنفسي". ومن ثم الإشارة إلى الجريمة التي لحقت قرية الدراويش.

وأيضًا قول الراوي"وفي خاطري تذكرت رفاق طفولتي بالقرية في سنوات مضت، ذلك الولد الذي كان يخترع لنا الحكايات عن الجن والعفاريت والمردة وخطفهم للناس وركوبهم لأرواح الناس، ولكن لم يكن أبوه ولا أمه قارئًا ولا كاتبًا، ولم يكن في بيته مجلة ولا كتاب ولا جدة تحكي، ومات قبل عام واحد حاملًا معه حكاياته وخرافاته كلها، وذاك الولد الذي كان قادرًا على رسم الوجوه والعيون خاصة بقلمه

[1] سليمان فياض(٢٠٠٩).رواية أصوات.-القاهرة: دار الشروق.-ط٤.- ص٨٠.

الرصاص،...وجاء وقت صار فيه حلاقاً مثل عمه وأبيه في دكان أبيه، وهجر التفنن بالقلم إلى التفنن في حلق الرءوس"[1].

نجد الذات الراوية داخل بنية المناجاة ممتزجة بالخيال التصويري داخل بنية السرد المتمثل في الفعل(وفي خاطري تذكرت)، للإشارة إلى علة مغادرة رفقائه بالقرية.

وفي رواية"القرين" يتخذ الراوي وسيلة الحديث الذاتي مع قرينه (نفسه). ليكشف من خلال تلك المناجاة عن الممثل للخير والممثل للشر فيهما.

يقول القرين"ـ أنت؟ تبدو واثقاً من نفسك. واللبن؟ كم مرة فار بسبب سرحاتك بي؟.

(همس منكراً: أنا؟ كنت أنبهك هامساً: اللبن، لكنك تكون مشغولاً بقراءة خبر. في الصحيفة تظن أنه هام. فتؤجل استجابتك لي، ويفور اللبن).

ـ طبعاً ! أنت دائماً الخير، وأنا الشر. أنت المصيب، وأنا المخطئ !! أليس كذلك؟

سكت.

ـ أنت مجنون، وشرير، ومدمر، وجبان. غريزي حتى النخاع تذكر أحلامك لي، في الليالي الطويلة، الرهيبة، طوال أربعين عاماً. لست أذكر التفاصيل الآن.

[1] سليمان فياض(٢٠٠٩).رواية أيام مجاور.- القاهرة: دار الهلال.-ط١.-ص٩٤، ٩٥.

ـ أنا أعبر عما أنت فيه وعما تخفيه أنت، وأظهره لك في نومك"[1].

عبر الراوي من خلال الحديث الذاتي مع قرينه. الكشف عما يدور داخل النفس البشرية من تساؤلات حول ذات الإنسان هل واحدة أم متعددة الذوات، وهل الخير والشر داخل كل إنسان أم غير ذلك.

(ج) الحواس:

من الحواس التي اعتمد عليها الراوي كوسيلة لتداعي الذكريات حاسة السمع، ونستدل على تلك الحاسة من خلال قول الراوي في رواية (أيام مجاور)" وأذهلني أنني سمعت على بعد سحيق صوت جدي يقول لي من قريتنا على بعد لا أعلمه: طلب العلم له ضريبة يا أبو داود. استحمل. وشققت طريقي مستدلاً بأعمدة الكهرباء على مواطئ قدمي، وعلى طريقي إلى البيت"[2].

ولم يتوقف دور الراوي على حاسة السمع فقط في السرد بل يستعين بحاسة البصر في وصفه للمواقف السردية، ويكون مشاركاً فيها. كما وصف نفسه في سيرته الروائية(أيام مجاور) قائلاً"أنا شديد الفضول، مغرم بطبعي بمراقبة وملاحظة ما يجري من حولي، أن أرى وأعرف عن قرب"[3].

---

[1] سليمان فياض(١٩٨٢).رواية القرين.-القاهرة: مختارات فصول الهيئة العامة للكتاب.- ص٣٣.
[2] سليمان فياض(٢٠٠٩).رواية أيام مجاور.- القاهرة: دار الهلال.-ط١.- ص١٠.
[3] سليمان فياض(٢٠٠٩).رواية أيام مجاور.- القاهرة: دار الهلال.-ط١.- ص٢٣٤.

ونوضح ذلك من خلال قول الراوي"عند شقشقة ضوء الشمس التي لم تشرق بعد، رأيت بضع نسوة يتقدمن من تمثال إله الخصب، تتوسطهن شابة. كن جميعاً ملثمات بطرح سوداء كثيابهن عدا تلك الشابة، فقد كانت تبدو كعروس تساق إلى عريسها: وبدأت أرى وأرقب طقوس الزفاف والعناق أو الدخلة مع ضياء الفجر.....

حين اختفين عن البصر، خرجت من مكمني. أسرعت إلى التمثال البازلتي...ووقعت عيني على آثار بلل على موضع العفة من التمثال. لمستها بإصبعي تأكدت أنها كانت دماً من دم الشابة، فقد كانت لزجة شديدة اللزوجة متخثرة"[1].

الراوي لا يعد أن يكون مشاهداً فقط لما يحدث حوله بل يكون مشاركاً في ذلك الأحداث، ليقنع القارئ بحقيقة سرده للأحداث، ويرجع الأساس لدى سليمان فياض في ذلك الوصف. ليس الغرض منه الإشارة إلى انتهاك المحرمات الجسدية، ولكن الغرض منه تكشف (المكان) المختبئ المليئ بالاعتقادات الخرافية. فنراه يسخر من الأوضاع الاجتماعية والثقافية.

وكذلك أيضاً الأوضاع التعليمية في المجتمع المصري المتمثلة في وصفه لطلاب الأزهر وهم في وضعية المذاكرة فيروي قائلاً"وحين يأتي الغروب ترتفع حمى المذاكرة بين الطلاب الجالسين تحت أضواء المصابيح القوية المدلاة بالعنابر، ووسط زحام رهيب من قانطي العنابر.زحام لا تكون معه فرصة لأحد إلا لكي يجلس متربعاً، أو واضعاً

[1] سليمان فياض(٢٠٠٩).رواية أيام مجاور.- القاهرة: دار الهلال.-ط١.- ص٢١٠، ٢١١.

ساق على فخذ، كما في تمارين اليوجا، والكتاب مفتوح في يده، والصوت عالٍ أو هامس في فمه، وهو يقرأ أو يكرر ويردد لنفسه ما قرأه: الخنازير تربى في الجنوب. الخنازير تربى في الجنوب. الخنازير تربى في الجنوب، وهو يهز أمامًا وخلفًا ويمنة ويسرة، كأنه بذلك يثبت كل حرف وكل كلمة في كل خلية من خلايا جسده، وأحيانًا تأخذه الجلالة، تنبيهًا لنفسه، فيروح يضرب بكفه بطن قدم الساق العارية المرتفقة لفخذه، برتابة وانتظام وحماس وهمة: أيوه يا سيدي. بيقول لك إيه يا سيدي"[1].

اعتمد الراوي على تقنية الوصف للطلاب وهم في وضعية المذاكرة. ليوضح من خلال هذا الوصف رفضه لاستخدام هذا الاسلوب في التعليم القائم على الحفظ والتلقين دون الفهم، وفي هذا السرد تصوير ساخر لاستخدام هذه الآلية في تلقي المعرفة. فيجب الاعتماد على الفهم في المقام الأول.

٢ـ (ثانيًا) السارد بضمير الغائب:

تسيطر تقنية السارد بضمير الغائب(هو) على بنية السرد داخل روايتي(الصورة والظل، والفلاح الفصيح) لسليمان فياض، وهذا الضمير يعينه على أداء قصه لأنه يستخدمه ليعبر عن"اللاشخصية لأن القارئ نفسه يستطيع أن يتدخل برصيده الثقافي وتصوراته ليقدم صورة مغايرة عما يراه الآخرون عن الشخصية الحكائية. فهي تركيب جديد يقوم به القارئ

[1] سليمان فياض(٢٠٠٩).رواية أيام مجاور.- القاهرة: دار الهلال.-ط١.- ص١٧٦، ١٧٧.

أكثر مما هي تركيب يقوم به النص"[1]. ومن خلال هذا الضمير يكون السارد على معرفة بكل شيء عن شخصياته المحورية لأنه يسرد "أحداث روايته من خلال منظور واسع وشامل، وذلك للمسافة الكامنة بين موقعه وموقع شخصياته"[2].

ومن الوسائل التي اعتمد عليها الراوي في سرده تقنيتي الخيال التصويري، ومناجاة النفس.

أ ـ تقنية الخيال التصويري.

يستعين الراوي بضمير الغائب بهذه التقنية ليعبر عما بداخل الشخصية المحورية من خيال، ونوضح ذلك من خلال رواية"الصورة والظل" يقول الراوي"لحظ صابر، من الضوء المسلط عليه، من مسافات متباعدة، أن له على الأرض أكثر من ظل، ظلال عديدة متقاطعة مختلفة الأحجام، والأطوال، ومتعددة الدرجات. فزع لما تراه عيناه على الأرض، كأنه يراها لأول مرة. هل هي ظلاله بين الآخرين الآن ؟

للعمدة كانت نفس الظلال. دار بخاطره، أنه في هذه اللحظة بين يدي العمدة، ظل له وحده، وببركته تتحلق حوله كل الظلال الآن، ظلاله هو. فكر: هم جميعاً صاروا ظلالاً له. ذلك ما يقوله له العمدة الآن....هتف في سره، مخدر الحواس لم يزل:

ـ مدد يا عمدة.. مدد..

---

[1] حميد لحمداني (١٩٩١م). بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي.- بيروت: المركز الثقافي العربي.ـ- ط١.- ص٥٠.

[2] شريف الجيار(٢٠٠٣م).روايات"إحسان عبد القدوس" ذات الاتجاه النفسي ومصادرها الأجنبية" دراسة مقارنة في"التقنيات الفنية والتداخل الحضاري.- القاهرة: كلية الآداب.- ص١٦٩.

(قال له الغريب في داخله : أنت مسطول، وتخرف. فأشار إليه بيده ليخرس، حتى لا تتبدد قدسية اللحظة)"[1].

استطاع الراوي من خلال تقنية الخيال التصويري أن يكشف لنا ما يدور داخل(صابر) من رغبة في تولي الخلافة بعد العمدة فقد شعر أنه ظل للعمدة وحده، وببركة العمدة تتحلق حوله كل الظلال على الأرض.

وأيضاً قول الراوي بضمير الغائب من خلال هذه التقنية(تقنية الخيال التصويري"(تأمل من جديد، من مجلسه، صورة العمدة. هو بنفسه العمدة كما خلقه الخالق، بقفطانه، وجبته، بشاربه، وأنفه الأفطس، بجبهته العريضة المرتفعة، وعينيه النفاذتين. من يومه كان رجلاً لم تنجبه أم، ولم تخرج مثله إلى الدنيا مولدة. بسط سطوته بثقته بنفسه، وبثقة رجاله به، لثقته هو بنفسه. صار عمدة القرية في شبابه، على صغر عائلته، وتواضعها"[2].

يشير الراوي من خلال هذا الوصف إلى مدى الوفاء والإخلاص من صابر تجاه العمدة حتى بعد مماته فيصفه بالرجولة والشهامة.

والصنيع نفسه نجده في رواية"الفلاح الفصيح" حيث يقول الراوي أوشك(رينسي) أن يقفز فرحاً، ويعانق (خونانوب). ها هو أمام رجل أمي حكيم، في مملكة مصر، أكثر حكمة وفصاحة من كل الكهنة، وأكثر صدقاً من كل الكتاب في عهد جلالة الملك (نيكاورع خيتي الثالث)، وأكثر غنى بنفسه من غنى أي إنسان آخر في مملكة مصر. لكن (رينسي)

[1] سليمان فياض(١٩٨٥). رواية الصورة والظل.-القاهرة: مكتبم مدبولي.-ط٢.- ص٤٢٦
[2] سليمان فياض(١٩٨٥). رواية الصورة والظل.-القاهرة: مكتبم مدبولي.-ط٢.- ص٤٣٠

آثر أن يكبت مشاعره"وخيل إليه أنه يرى نفسه على سفين آمن في بحر هائل، يتنزه في نهر تغمر شاطئيه سعادة الرخاء والعدل والأمن، تتقافز حوله الأسماك الملونة، وترفرف فوقه الطيور الجميلة. وقال له (رينسي):

ـ ولم تختارني وحدي، لأنزل بحيرة العدالة؟

فقال له خونانوب، وهو يعبر بيديه، وكأنه يلقي شعراً، أو ينشد أغنية:

ـ لأنك يا مولاي، أب اليتيم، ورجل الأرمل، وأخ للمرأة المطلقة، والمنبوذة، وثوب للطفل الذي حرم من حنان أمه"[1].

استطاع الراوي بضمير الغائب من خلال تقنية الخيال التصويري وصف شعور رينسي بن ميرو، وما جال بخاطره من الفرح والسعادة إثر مدح خونانوب له.

ب ـ تقنية مناجاة النفس:

هي تقنية يلجأ إليها الراوي بضمير الغائب لكي يكشف عن دواخل الشخصية الساردة، ونذكر مثالا على ذلك من خلال المقطع السردي في رواية"الصورة والظل".

"خاطبهم صابر في ذات نفسه"ألا ترون أنني خيركم لخلافة السيد ؟ لقد اختارني العمدة، والعمدة خير من كان يعرف حقيقة الرجال"١[2].

[1] سليمان فياض(١٩٨٥). رواية الصورة والظل.-القاهرة: مكتبم مدبولي.-ط٢.- ص٤٦٦.
[2] سليمان فياض(١٩٨٥). رواية الصورة والظل.-القاهرة: مكتبم مدبولي.-ط٢.- ص٤٢١

هنا يلتحم الراوي بضمير الغائب مع الشخصية ذاتها للتحدث عن نفسها، ويعتبر هذا الأسلوب من أفضل أساليب القص لأنه يتيح للشخصية التعبيرعن مشاعرها الخاصة.

فصابر يرى أنه أحق بالخلافة بعد العمدة عن غيره لأنه كان خادمه المخلص والوفي الذي لم يتخلى عنه.

ويتضح ذلك أيضاً من خلال مخاطبة صابر لهم في ذات نفسه:

"أنا أيها الانتهازيون؟ (قال له غريبه: أنت) لا حق لكم فيه مثلي. أوفاكم كنت معه ظللت دائماً. تغيرتم جميعاً، وبقيت. جئتم وذهبتم، وعدتم لتذهبوا، ولتعودوا. ولكنني، وحدي ظللت معه، خادمه المخلص"[1].

يلتحم الراوي بذات الشخصية للتعبير عما يدور بذاتها دون الاحتياج لوسيط بينها وبين القارئ"وهو ما يجعل الرواية أكثر تماسكاً من الناحية الفنية"[2].

[1] سليمان فياض(١٩٨٥). رواية الصورة والظل.-القاهرة: مكتبم مدبولي.-ط٢.- ص٤٢٢

[2] شريف الجيار(٢٠٠٣م).روايات"إحسان عبد القدوس" ذات الاتجاه النفسي ومصادرها الأجنبية" دراسة مقارنة في"التقنيات الفنية والتداخل الحضاري.- القاهرة: كلية الآداب.- ص١٧٦ .

النتائج:

وعلى ما سبق؛ يمكن استخلاص النتائج التالية:

١. تنوع بنية السرد داخل روايات سليمان فياض ما بين السرد الذاتي كما في روايتي (أيام مجاور، والقرين ولا أحد)، والسرد الموضوعي كما في (أصوات، والصورة والظل، والفلاح الفصيح).

٢. كان موفقاً في إسناد الضمائر داخل بنية السرد الروائية، فقد اسند ضمير ال"أنا" للتعبير عن أفكار الذات الساردة ومشاعرها، واعتمد على ضمير الغائب في سرده لروايتيه(الصورة والظل، والفلاح الفصيح)، وأسند الحديث للشخصية أثناء مناجاتها لذاتها.

٣. ميل روايات سليمان فياض نحو تقنيات الرواية الحديثة فقد استخدم الذاكرة، والخيال الذهني التصويري ومناجاة النفس، والحواس كوسيلة لتنظيم التداعي الحر في روايات"تيار الوعي" الحديثة.

قائمة المصادر والمراجع

أولًا: المصادر:

١. سليمان فياض (١٩٨٢). رواية القرين. - القاهرة: مختارات فصول الهيئة العامة للكتاب.

٢. سليمان فياض (١٩٨٢). رواية لا أحد. - القاهرة: مختارات فصول الهيئة العامة للكتاب.

٣. سليمان فياض (١٩٨٥). رواية الصورة والظل. - القاهرة: مكتبة مدبولي. - ط٢.

٤. سليمان فياض (١٩٨٥). رواية الفلاح الفصيح. - القاهرة: مكتبة مدبولي. - ط٢.

٥. سليمان فياض (٢٠٠٩). رواية أصوات. - القاهرة: دار الشروق. - ط٤.

٦. سليمان فياض (٢٠٠٩). رواية أيام مجاور. - القاهرة: دار الهلال. - ط١.

ثانيًا: المراجع:

١. حميد لحمداني (١٩٩١). بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي. - بيروت: المركز الثقافي العربي.

٢. روبرت همفري (٢٠١٥). تيار الوعي في الرواية الحديثة ترجمة وتقديم: محمود الربيعي.

٣. شريف الجيار (٢٠٠٣). روايات إحسان عبد القدوس ذات الاتجاه النفسي ومصادرها الأجنبية (دراسة مقارنة في التقنيات الفنية والتداخل الحضاري). - القاهرة: كلية الآداب.

٤. عبد الرحيم الكردي (١٩٩٦). الراوي والنص القصصي. - القاهرة: دار النشر للجامعات. -ط٢.

٥. عزة عبد اللطيف عامر (٢٠١٠). الراوي وتقنيات القص الفني (دراسة تطبيقية على نماذج من الرواية المصرية ١٩٣٣ ـ ١٩٩٧). - القاهرة: الهيئة العامة للكتاب.